أوضاع ذوي الاحتياجات الخاصة خلال العهد المملوكي الثاني

م.م ريسان عبد الصاحب مركب

مديرية تربية ذي قار / العراق

رقم الهاتف : 07812505795

The Address

Conditions of people with special needs during the Second Mamluk era

M.M. Raysan Abdel-Saheb Complex

Dhi Qar Education Directorate / Iraq

alrkabyalhajrysanbdalsahb@gmail.com

أوضاع ذوي الاحتياجات الخاصة خلال العهد المملوكي الثاني

م.م ريسان عبد الصاحب مركب

مستخلص:

يتناول البحث أمر مهم جداً في المجتمع، ويعتبر معياراً في حضارة الشعوب ونضجهم الفكري، لا سيما من خلال تعاملهم مع ذوي الهِمم، والإيمان بقدراتهم وإمكانياتهم العلمية ودورهم المهم في الحياة التعليمية في كافة مناحيها، فيتضمن البحث دراسة لمصطلحات لا سيما مصطلح ذوي الهِمم، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لذوي الهِمم **في العهد المملوكي الثاني**، ودور الدولة والمجتمع في رعاية ذوي الهِمم، ومقارنة أوضاع ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني بأوضاعهم في فترات تاريخية أخرى، والتعليم في العهد المملوكي، ودور ذوي الهِمم في المؤسسات التعليمية في العهد المملوكي ومكانة المرأة من ذوي الهِمم. كذلك نماذج مشرفة لذوي الهِمم في العهد المملوكي، وصولاً إلى نتائج البحث وعدد من التوصيات.

كلمات مفتاحية : ذوي الاحتياجات الخاصة – العهد المملوك الثاني – ذوي الهمم

The Address

Conditions of people with special needs during the Second Mamluk era

M.M. Raysan Abdel-Saheb Complex
Dhi Qar Education Directorate / Iraq
alrkabyalhajrysanbdalsahb@gmail.com

Abstract

The research deals with a very important matter in society, and is considered a standard in the civilization of peoples and their intellectual maturity, especially through their dealings with people of determination, and belief in their abilities and scientific potential and their important role in educational life in all its aspects. The research includes a study of terminology, especially the term people of determination, and the social, economic and cultural conditions of people of determination in the second Mamluk era, the role of the state and society in caring for people of determination, and

comparing the conditions of people of determination in the second Mamluk era with their conditions in other historical periods, education in the Mamluk era, the role of people of determination in educational institutions in the Mamluk era and the status of women with determination. As well as honorable models of people of determination in the Mamluk era, arriving at the research results and a number of recommendations.

Keywords: People with special needs - the Second Mamluk era - people of determination

مقدمة:

كان العهد المملوكي الثاني (1349–1517 م) فترة من الازدهار الاقتصادي والثقافي في مصر والشام. شهدت هذه الفترة أيضًا ارتفاعًا في عدد الأشخاص ذوي الهِمم، ولا بدَّ من ذكر أنه في الوقت الحاضر يفضل استخدام مصطلح ذوي الهِمم، وهي مصطلح أفضل لوصف هؤلاء، لذلك سيتم استخدامه في طيات البحث، وذلك بسبب الحروب المتكررة والأوبئة والتغيرات الاجتماعية. على الرغم من التحديات التي واجهها ذوو الاحتياجات الخاصة، إلا أنهم تمكنوا من تحقيق بعض النجاحات في مجالات الاقتصاد والمجتمع والثقافة والسياسة، وعمل العديد من ذوي الهِمم في مهن مختلفة، مثل الزراعة والتجارة والحرف اليدوية. كما شاركوا في الأعمال التجارية، وامتلكوا بعضهم عقارات وأراضي. ساعدت هذه الأنشطة الاقتصادية ذوي الهِمم على تحقيق الاكتفاء الذاتي والمساهمة في المجتمع، ومن الجدير بالذكر هنا أنه عند القيام بإجراء مقارنة بين العصر المملوكي الثاني والعصور التي سبقته والعصور التي تلته تم الاعتماد على الدراسة التحليلية العامة دون الدخول بتفاصيل البحث في تلك العصور ماعدا العصر المملوكي الثاني.

أولاً– أهمية البحث:

1. تسلط الضوء على جانب مهم من جوانب الحياة الاجتماعية في العهد المملوكي الثاني، وهو جانب لم ينل الاهتمام الكافي من قبل الباحثين.
2. تساهم في فهمنا لتاريخ ذوي الهِمم في العالم الإسلامي.

3. تُقدم معلومات قيّمة عن دور الدولة والمجتمع في رعاية ذوي الهِمم خلال هذه الفترة.

ثانياً- أسباب اختيار الموضوع:

1. قلة الدراسات التي تناولت أوضاع ذوي الهِمم في العصور الإسلامية بشكل عام، وفي العهد المملوكي الثاني بشكل خاص.
2. أهمية الموضوع من الناحية الإنسانية والاجتماعية.
3. توفر المصادر التاريخية للمماليك معلومات غنية عن هذا الموضوع.

المبحث الأول-دراسة لمصطلحات البحث.

أولاً-تعريف ذوي الاحتياجات الخاصة:

هي حالة نقص أو فقدان في أحدى الوظائف الحيوية للإنسان، سواء كانت وظائف جسدية أو حسية أو عقلية، مما يحد من قدرته على ممارسة حياته بشكل طبيعي[1]، وفي اللغة والاصطلاح ذوي يَذوَى، اذْوَ، ذُوِيًّا، فهو ذاوٍ، ذوِي النَّبتُ: ذوَى؛ ذبَل، ويبس نتيجة قلة مائه، فَقَد رطوبته، وضعُف" ذوِي العود -زهرة ذاوية، "ذوِي عودُ فلان: ذوَى؛ شاخ، ضعُف" ذوِي الشيخ -وجه ذاوٍ"[2]. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿ **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ** ﴾[3].

ثانياً- أنواع ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني:

إن أنواع ذوي الهِمم في العهد المملوكي تشبه الأنواع الإعاقة التي كانت في الفترات الزمنية السابقة وكذلك الفترات الزمنية اللاحقة وصولاً إلى الفترة المعاصرة، مع وجود بالتأكيد اختلافات عدة في بعض الإصابات أو الأمراض المستجدة، وهذه الأنواع في العهد المملوكي الثاني هي:

ذوي الهِمم الجسدية: هي فقدان أو ضعف في أحد أعضاء الجسم أو وظائفه، مثل الشلل أو البتر أو فقدان البصر أو السمع[4].

الشلل: كان الشلل النصفي والشلل الرباعي من أكثر الإعاقات الجسدية شيوعًا في العهد المملوكي الثاني. ويعود ذلك بشكل أساسي إلى الحروب التي كانت تدور رحاها

في تلك الفترة، حيث كان الجنود يتعرضون لإصابات خطيرة في العمود الفقري أو الدماغ تؤدي إلى الشلل. كما كانت بعض الأمراض، مثل التهاب الدماغ، تُسبب الشلل أيضًا.

البتر: كان بتر الأطراف نتيجة الحروب أو الأمراض شائعًا أيضًا. ففي الحروب، كان الجنود يتعرضون لبتر أطرافهم بسبب السيوف أو الرماح أو الطلقات النارية. كما كانت بعض الأمراض، مثل الجِذام، تُسبب بتر الأطراف أيضًا.

فقدان البصر: كان فقدان البصر نتيجة الإصابات أو الأمراض مثل الرمد شائعًا. ففي الحروب، كان الجنود يتعرضون لإصابات في عيونهم بسبب السيوف أو الرماح أو السهام. كما كانت بعض الأمراض، مثل الرمد، تُسبب فقدان البصر أيضًا.

فقدان السمع: كان فقدان السمع نتيجة الإصابات أو الأمراض مثل التهاب الأذن شائعًا. ففي الحروب، كان الجنود يتعرضون لإصابات في آذانهم بسبب الانفجارات أو الأصوات العالية. كما كانت بعض الأمراض، مثل التهاب الأذن، تُسبب فقدان السمع أيضًا.

ذوي الهِمم الحسية: هي ضعف أو فقدان في أحد الحواس، مثل البصر أو السمع أو الشم أو التذوق أو اللمس.

ضعف البصر: كان ضعف البصر نتيجة الشيخوخة أو الأمراض مثل إعتام عدسة العين شائعًا. فمع تقدم العمر، تصبح عدسة العين أكثر عتامة، مما يؤدي إلى ضعف البصر. كما كانت بعض الأمراض، مثل إعتام عدسة العين، تُسبب ضعف البصر أيضًا.

الصمم: كان الصمم نتيجة الشيخوخة أو الأمراض مثل التهاب الأذن شائعًا. فمع تقدم العمر، تصبح خلايا الأذن الداخلية أقل كفاءة، مما يؤدي إلى الصمم. كما كانت بعض الأمراض، مثل التهاب الأذن، تُسبب الصمم أيضًا.

فقدان الشم: كان فقدان الشم نتيجة الأمراض مثل الرشح أو الحساسية شائعًا. ففيروسات الرشح والتهابات الجيوب الأنفية والحساسية يمكن أن تُسبب فقدان الشم بشكل مؤقت أو دائم.

فقدان التذوق: كان فقدان التذوق نتيجة الأمراض مثل التهاب اللوزتين أو الإصابات شائعًا. فالتهابات اللوزتين والتهابات الفم واللسان يمكن أن تُسبب فقدان التذوق بشكل

مؤقت أو دائم. كما يمكن أن تُسبب بعض الإصابات في الفم أو اللسان فقدان التذوق بشكل دائم.

فقدان اللمس: كان فقدان اللمس نتيجة الإصابات أو الأمراض مثل الجذام شائعًا. فالإصابات في الأعصاب الطرفية يمكن أن تُسبب فقدان اللمس في منطقة محددة من الجسم. كما يمكن أن يُسبب مرض الجذام فقدان اللمس في جميع أنحاء الجسم.

ذوي الهِمم العقلية: كانت الإعاقات العقلية أقل شيوعًا من الإعاقات الجسدية والحسية في العهد المملوكي الثاني[5].

ثالثاً- انتشار الإعاقات في العهد المملوكي الثاني:

يصعب تحديد عدد الأشخاص ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني بدقة، وذلك لعدم وجود إحصائيات دقيقة، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الإعاقات كانت شائعة نسبيًا، خاصة بين الجنود الذين أصيبوا في الحروب، وكما تشير المصادر إلى وجود العديد من المؤسسات الخيرية التي كانت مخصصة لرعاية ذوي الهِمم، مثل دور العجزة والمكفوفين، وبشكل عام، يمكن القول أن الإعاقات كانت تمثل جزءًا مهمًا من المجتمع في العهد المملوكي الثاني، **المبحث الثاني- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني:**

أولاً- الأسرة والمجتمع:

كان لذوي الهِمم مكانة اجتماعية محترمة في المجتمع المملوكي. تم احترامهم وتقديرهم لذكائهم وإبداعهم وإسهاماتهم في المجتمع. كما تم توفير بعض الخدمات الاجتماعية لهم، مثل الرعاية الصحية والتعليم، وشارك ذوو الاحتياجات الخاصة في الحياة الثقافية للمجتمع المملوكي. حضروا العروض الفنية والموسيقية، وشاركوا في المناقشات الفكرية. كما ساهم بعضهم في الفنون والآداب، وكتبوا الشعر والروايات، ولم يتمكن ذوو الاحتياجات الخاصة من تقلد المناصب السياسية العليا في الدولة المملوكية. ومع ذلك، شارك بعضهم في الحياة السياسية على المستوى المحلي. كما تم تعيين بعض ذوي الهِمم في مناصب إدارية في بعض المؤسسات الحكومية، وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه ذوو الاحتياجات الخاصة خلال العهد المملوكي الثاني، إلا أنهم واجهوا العديد من

التحديات. واجهوا تمييزًا في بعض الأحيان، وواجهوا صعوبة في الوصول إلى الخدمات والمرافق. كما واجه بعضهم صعوبة في العثور على عمل مناسب. وعلى الرغم من التحديات التي واجهها ذوو الاحتياجات الخاصة خلال العهد المملوكي الثاني، إلا أنهم تمكنوا من تحقيق بعض النجاحات في مجالات الاقتصاد والمجتمع والثقافة والسياسة. ساهموا في ازدهار المجتمع المملوكي، وتركوا إرثًا غنيًا للأجيال القادمة[6].

لقد أدت الأسرة دورًا مهمًا في حياة ذوي الهِمم خلال العهد المملوكي الثاني، فقدمت لهم الرعاية والدعم العاطفي، وساعدتهم على التكيف مع إعاقتهم.، وعملت الأسرة على دمج ذوي الهِمم في المجتمع من خلال تشجيعهم على المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، وحرصت بعض الأسر على تعليم ذوي الهِمم مهارات حرفية أو تجارية لتمكينهم من العيش بكرامة، وكان المجتمع المملوكي متسامحًا نسبيًا مع ذوي الهِمم، وتم احترامهم وتقديرهم لذكائهم وإبداعهم وإسهاماتهم في المجتمع، ووفرت بعض المؤسسات الخيرية والمساجد خدمات الرعاية الاجتماعية لذوي الهِمم، مثل الطعام والمأوى والرعاية الطبية، وسمح لبعض ذوي الهِمم بالمشاركة في الحرف اليدوية والتجارة، مما ساهم في دمجهم في الحياة الاقتصادية للمجتمع. وعمل العديد من ذوي الهِمم في مهن مختلفة، مثل الزراعة والتجارة والحرف اليدوية. كما امتلك بعضهم عقارات وأراضي، وشاركوا في الأعمال التجارية، فقد ساعدت هذه الأنشطة الاقتصادية ذوي الهِمم على تحقيق الاكتفاء الذاتي والمساهمة في المجتمع، وواجه بعض ذوي الهِمم صعوبة في العثور على عمل مناسب، خاصة أولئك الذين يعانون من إعاقات شديدة[7].

لقد اجتمعت عدة أسباب لتجعل العصر المملوكي عصرًا مُثيرًا للاهتمام اجتماعياً وعلمياً، ابتداءً من الامتداد الواسع الذي حقّقه، ومروراً بفترة حُكمه الطويلة، والأهمّ هو تكونه في المرحلة التي تضمّنت وجود الخلافة العباسية والمغول، يُعدُّ عهد المماليك عهد شهد عدَّة مُنجزات علميَّة وفكريَّة، وإنما بدأت الحضارة الإسلاميَّة في تلك الفترة تتراجع شيئًا فشيئًا. ففي مجال العلم كانت القاهرة من أهم مراكز طب العُيُون في العالم، وقد انتجت عددًا مهماً من الأطباء، أمَّا في التاريخ والأدب والدين فقد ظهر عددٌ من أهم الباحثين والمُؤلفين [8].

إن العصر المملوكي كان عصر حركة نشطة، ففي الخارج حروب وانتصارات، كما أنهم أوقفوا خطر التتر من الشرق، وهم القوة الجامحة الهمجية التي دمرت عاصمة الخلافة العباسية عام 656 هـ، ثم أجهزوا على الوجود الصليبي. وفي الداخل نشاط ديني وعلمي خصب تبدّى في رغبة جامحة في التعلم والتعليم، ونشاط لامثيل له في ميدان الكتابة والتأليف. وعلى الرغم من كثرة الفتن الداخلية والحروب الخارجية في هذا العصر فإن النشاط العلمي والفكري لم يتأثر بها لأن الفئة الحاكمة وحدها كانت هي التي تحارب، دون أن تساهم فئات الشعب الأخرى فيها بفضل نظام المماليك الذي وقف الجندية عليهم وحدهم[9]. ويمكن أن نعزو هذا النشاط الفكري والثقافي في العهد المملوكي إلى الأسباب الآتية:

التشجيع القوي الذي لقيه من سلاطين المماليك وأمرائهم، سواء بتشييد المدارس والجوامع أم بالمشاركة في النشاطات العلمية. يدل على هذا حرْصُ السلاطين المماليك على عقد مجالس علمية ودينية لبحث مختلف المسائل والمشكلات العلمية، ويدل عليه اشتغال بعض أمراء المماليك وأبنائهم بالتاريخ والفقه والحديث واللغة، ولو أن السلاطين لم يشاركوا مشاركة فعلية في التعلم لانشغالهم بمشاغلهم الكثيرة، ولحداثة بعضهم باللغة العربية[10]. واحترم المماليك العلماء ورجال الدين لأنهم قوة لها خطرها في اكتساب الرأي العام ولحاجتهم إليهم لتقليدهم الوظائف السامية والرتب العالية كالوزارة، وكتابة السر، والقضاء، فاجتهدوا في توسيع المعارف حتى كانت مصر من أوسع الكرة الأرضية ذكراً في ذلك. وهجرة العلماء والأدباء من أصقاع العالم الإسلامي إلى مصر بسبب الأمان النسبي الذي وجدوه فيها بالقياس إلى ما كان يتهددهم في بغداد أو دمشق أو الأندلس، وبسبب ازدهار الحركة الثقافية في مصر، وبسبب شعورهم بأن بلادهم الأصلية لا تستوعب عقولهم [11]. وانتقال الخلافة العباسية من بغداد بعد سقوطها إلى القاهرة، وهو في الحق سبب شكلي؛ فلم يكن للخليفة سلطة فعلية. غير أن هذا الانتقال، رغم شكليته، جذب العلماء إلى مصر، وجعل عاصمة المماليك عاصمة المُلك والعلم معاً[12]. وبلغة الأرقام فإن حصيلة القرن الثامن الهجري في مصر، سبعةٌ من حُفّاظ الحديث، وخمسة قرّاء كبار، وسبعة وثلاثون فقيهاً كبيراً، وعدد كبير من النحاة، ومؤرخون ما يزالون مصدراً لكتابة التاريخ،

كالمقريزي صاحب كتابَي "السلوك" و "الخطط"، وابن حجر الذي أرّخ للقرن الذي سبقه، وابن تغري بردي صاحب السِّفْر الضخم "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، والسخاوي الذي ترجم لأعلام القرن، والسيوطي صاحب العشرات من كتب التفسير والحديث والتاريخ[13].

ثانياً– العمل والتعليم:

لم يكن هناك نظام تعليمي رسمي لذوي الهِمم خلال العهد المملوكي الثاني. ومع ذلك، وفرت بعض المساجد والكتاتيب تعليمًا دينيًا لذوي الهِمم، وتعلم بعض ذوي الهِمم القراءة والكتابة من خلال التعليم المنزلي أو من خلال العمل مع الحرفيين، وواجهت الفتيات ذوات ذوي الهِمم صعوبة أكبر في الحصول على التعليم مقارنة بالفتيان. وتُعدّ المدارس بوصفها أبنيةً مستقلة ومؤسسات متخصصة ظاهرة فارسية انتقلت من فارس إلى العراق فالشام فمصر. وكانت المؤسسة المسماةُ بالمدرسة لا تختلف عن الجامع في الشكل في ذلك العصر. ولم تكن عناية ذوي الاحتياجات في العهد المملوكي بالمدارس قليلة، فقد تابعوا نشاطهم الذي كان منذ السابق. وعُرف كثير منهم بحبِّ الأدب والعلم، وحضورهم مجالسها. ويجد الباحث أسماءَ العشرات من هذه المدارس، وتاريخَ كلٍّ منها، ومواصفاتِها، ومَن تصدى للإقراء فيها، في "حُسْنُ المحاضرة" للسيوطي، و"الخطط" للمقريزي. ويَعدّ عبد القادر النعيمي في كتابه "الدارس في تاريخ المدارس" في دمشق وحدها سبع دور لتعليم القرآن الكريم، كالدار الخيضرية، والدار الدلامية، وست عشرة لتعليم الحديث النبوي درّس فيها مشاهيرُ عصرهم كابن الصلاح، وابن تيمية، والنووي، وآل السبكي تقي الدين وبهاء الدين وتاج الدين. وأربعاً وستين مدرسة لتدريس الفقه الشافعي، واثنتين وخمسين للفقه الحنفي[14].

هذه الحركة النشيطة في بناء المدارس يعزوها بعضُهم إلى الثراء الذي بلغته مصر في عصر المماليك، وزاد حماستَهم الخرابُ الذي كاد التتار يصيبون به بلادهم وعلماءهم كما أصابوا من قبلُ البلاد الإسلامية الأخرى. وإذا كان المماليك لم يُصدروا ما تصدره الدول الحديثة من تشريعات تنص على مجانية التعليم وإلزاميته فإن هذا الانتشار الأفقي العظيم قريب من إلزامية التعليم؛ بل لا نعدم مدارس تقدم للأطفال بعض الطعام واللباس. ولا

يمكن أن يُقارَن هذا بما ساد العصر الذي تلاه من جهل وتجهيل. ولم تخرج الثقافة في المدارس المملوكية عن أن تكون ثقافة إسلامية خالصة لم تمازجها ثقافات أخرى، وموادها الفقه والحديث، ثم العلوم المتعلقة بالدين كالفرائض (علم المواريث) والتفسير والقراءات. ولذا وُجدت المدارس المتخصصة في فقه مذهب معين أو مذهبين، وأحياناً المذاهب الأربعة. ومدارس متخصصة في تدريس الحديث النبوي. واشتملت المناهج عموماً على النحو والباغة لصلتهما الوثيقة بعلوم الدين. وخلت مناهج هذه المدارس من العلوم العقلية البحتة كالجبر والكيمياء، فكانت مما يشتغل به بعض الرجال في بيوتهم، ومن الفلسفة النظرية ومن العلوم العقلية التجريبية، لأن الاتجاه الجماهيري العام بعد ركود العقل العربي كان ضد هذه العلوم. وكانت هذه الكراهية سياسة رسمية للدول المتعاقبة، ويصعب في هذه العُجالة شرح الأسباب، وتصعب إدانة هذا النهج. ولكن يمكن القول باطمئنان: إن الصراع الدائم بين الدين والفلسفة كان قد حُسِم بعد الإخفاقات العربية المتكررة في الحكم، والصراع ضد العدو الخارجي، ضد الفلسفة والعلوم التطبيقية التي لم يعْدُ بعضُها أن يكون ضرباً من الشعوذة كالخيمياء (ما يقابل الكيمياء المعاصرة) ولا سيما في بلدان المغرب العربي، ومصرُ أقرب إليها لأن أهل المغرب، على حد تعبير ابن خلدون، مالوا إلى العلوم السهلة التي هي أقرب إلى النقل والحفظ، كالحديث النبوي، وانصرفوا عن العلوم العقلية البحتة كالتفسير وعلم المعاني مثلاً، خلافاً لأهل المشرق الإسلامي الذين برعوا في هذه العلوم[15].

لقد عُهِد بوظائف التعليم في المدارس المملوكية إلى معلمين من ذوي الهِمم وكان لهم طبقة الصدارة، ويشغل فيها الأستاذ وظيفة " الصدر" لإقراء مذهب من مذاهب الفقه. والظاهر أن الصدر هو إمام عصره في الفقه أو الحديث أو التفسير، أو هو من أكبر الأئمة في عصره وأعظمهم تمكناً من مادته. وعليه يتخرج الكثيرون من نوابغ المدرسين، وإليه يذهب السلاطين والوزراء للإفادة منه. وليس من الضروري أن يكون لكل مدرسة صدرُها.

طبقة المدرسين، وتلي الطبقة الأولى، وهم الذين يُعينون الصدر في شرح مادته.

طبقة المعيدين، وهم واحد أو أكثر لكل مدرس. ووظيفته أن يعيد للطلاب ما ألقاه المدرس ليفهموه، ويشرح ما يحتاج إلى شرح[16].

وتمتع الطلاب من ذوي الهِمم بحرية اختيار المواد التي يدرسونها. وهذا الاختيار غالباً ما يتبع شهرة المدرس. ويحصل الطالب على إجازة تأتي قوتُها من سمعة الشيخ الذي صدرت عنه، ومكانته العلمية. وغالباً ما يحصل الطالب على أكثر من إجازة من أكثر من شيخ. وبصرف النظر عن اقتصار مناهج هذه المدارس على المواد الدينية واللغوية وافتقارها إلى المواد العلمية، وهي ظاهرة ترتبط بالطابع العام للعصر منذ القرن الخامس الهجري، وهو قرن بداية الانهيار، فإن عدة أمور تستوقفنا في هذا النظام التعليمي:

إن تصنيف القائمين على التعليم قريب جداً من تصنيف القائمين على التعليم الجامعي في عصرنا (أستاذ ذو كرسي، مدرس، مدرس مساعد، معيد) وهو تصنيف يعتمد المقدرة العلمية والخبرة العملية، ويراعي توزيع الأعباء، كلٌّ حسب إمكاناته[17]. وخلت المناهج من قسْر الطالب ومنهم ذوي الهِمم على دراسة مقررات لا رغبة له فيها، وهو الأمر الذي يشكو منه جداً طلاب جامعات هذا العصر. الشهادات التي تُمنح للطلاب قريبة مما يُعرف في عصرنا بنظام الشهادات المتعددة التي تسبق الشهادة الأخيرة. ولا يخفى أننا حُفظ على تسمية " الإجازة" للشهادة الأخيرة[18]. وفي وصف للمدرسة الصرغتمشية التي بناها الأمير صرغتمش بالقاهرة سنة 757هـ، فقد حافظ المماليك على نظامهم التعليمي، فخطت المدارس في عهدهم خطوات واسعة نحو التقدم، وتعددت اهتماماتها وتنوعت، وساعد على ذلك عوامل عدة، منها رعاية هؤلاء السلاطين لتلك المدارس /الكليات بالإضافة إلى مساهمتهم وكبار الشخصيات في مجتمعهم في إنشاء وتمويل هذه المشاريع التعليمية العملاقة[19].

وعادة ما كان يحرص مؤسِّسو هذه المدارس على الصرف في عمارتها من خالص أموالهم، وتجهيز معظم احتياجات ذوي الهِمم مع التورع عن غبن القائمين على عمارتها أجورهم، ولدينا –حتى اليوم– بعض وثائق الوقفيات من ذلك العصر، مثل وقفية السلطان الظاهر بيبرس لمدرسته التي املتك موضعها بالشراء من حر ماله، وكتب إلى المشرف على البناء بأن "لا يُستعمل فيها أحد بغير أجرة، ولا يُنقص من أجرته شيء" [20].

مولت المدارس في كافة العصور الإسلامية من المجتمع المدني الإسلامي فضلا عن أموال السلاطين والأمراء وكبار التجار (رجال الأعمال)، لكن هذا الإنفاق كان مقننا من خلال نظام الوقف الذي عُرف بأعماله الخيرية تجاه المعوقين، وهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة؛ بمعنى أن الواقفين كانوا يوقفون أراضي أو عقارات كانت تُخصص أرباحها وريعها للإنفاق على هذه المؤسسات التعليمية، وفي أبواب الفقه الإسلامي ثمة أبواب مخصصة للوقف، فيه مسائل لا تحصى عن قواعد ونوازل هذه الباب الأهم الذي موّل العملية التعليمية في حضارتنا لأكثر من ألف ومئتي عام [21].

ثالثاً- الحياة الثقافية:

شارك ذوو الاحتياجات الخاصة في الحياة الثقافية للمجتمع المملوكي، وحضروا العروض الفنية والموسيقية، وشاركوا في المناقشات الفكرية، كما ساهم بعضهم في الفنون والآداب، وكتبوا الشعر والروايات، لقد كان لبعض ذوي الهِمم مواهب فنية مميزة، مثل الخط والرسم والموسيقى. وعلى الرغم من التحديات التي واجهها ذوو الاحتياجات الخاصة خلال العهد المملوكي الثاني، إلا أنهم تمكنوا من تحقيق بعض النجاحات في مجالات الاقتصاد والمجتمع والثقافة. أدت الأسرة والمجتمع دورًا مهمًا في حياتهم، وساعدتهم على التكيف مع إعاقتهم والاندماج في المجتمع، أما **دورهم في أشباه المدارس:**

1-الخانقاه:

هي كلمة فارسية معناها في الأصل المائدة أو المكان الذي يأكل فيه الملك. ثم أُطلق على هذه الدور الفخمة التي يقوم على إنشائها الملوك والأمراء المتحمسون للدين لأغراض شتى، منها إيواء الغرباء، والقيام على معيشتهم وتثقيفهم. وكان سكان الخوانق من ذوي الهِمم يشتغلون بالعلم دائماً، ويفِد إليهم علماء وفقهاء يلقون عليهم الدروس. ولكن لم يبلغ العلم الذي يُلقى فيه ما بلغه في المدارس رغم ظهور شخصيات عظيمة من تخريجها مثل شهاب الدين السهروردي وابن الفارض[22].

2- الجوامع:

بلغ عدد الجوامع في مصر في القرن التاسع الهجري مئتي جامع. وقام الجامع والمدرسة بدور مزدوج في خدمة الدين والعلم. والفرق بينهما هو أن المدرسة استهدفت أولاً خدمة

العلم، وجاء نشاط ذوي الهِمم الديني ضمنياً عن طريق تدريس العلوم الدينية، خلافاً للجامع الذي هدفه الأول خدمة الدين وإحياء شعائره.

3- المكاتب:

المكتب في الأصل مكان لتعليم أيتام المسلمين، مناهجه القراءة والكتابة والقرآن والحديث، وشيء من الحساب، أي محو الأمية في صفوف الفقراء. فإذا كان هذا يتحقق في صفوف الفقراء والأيتام فأَحْرِ به أن يتحقق في الأوساط الأخرى.

4- المكتبات:

بعيداً عن الأرقام التي يورِدها المؤرخون عما في المكتبات من كتب، والتي قد تُتَّهَم بالمبالغة، فقد ترافقت حركة التأليف الواسعة بنشاط لا نظير له في جمع الكتب وإنشاء المكتبات. حتى سلاطين المماليك احتفظوا في قلعة الجبل بمكتبة جليلة. كانت مكتبات المدارس والجوامع على درجة فائقة من الإعداد والغنى، حتى الخوانق تمتعت بها، واستمرت تغذيتها بالكتب عن طريق الهدايا والنَّسْخ والهبات والشراء. ووجدت أنظمة محددة لعملها، كمنصب خازن الكتب. ومُنعت الإعارة الخارجية حرصاً على نُسخ الكتاب، كما هو شأن المكتبات اليوم. إن العصر المملوكي لم يفتقر إلى العبقريات الفذة في العلوم والآداب من ذوي الهِمم، مع قناعتنا بأنه لو حكم البلادَ غيرُهم لما استطاعوا إيجاد هذ العبقريات لأن مجرى التاريخ والحضارة لا يمكن عكسُه في ظروف المماليك العسيرة خارجياً وداخلياً. ومهما يكن الرأي، فإليهم يرجع الفضل في عمل عظيم هو جمْعُ علوم عصرهم في ما يُعرَف اليوم بالموسوعات. وهو عمل، إن لم يطوِّر عمل أسلافهم، فقد أنقذه من الضياع في عصر عاصف بالحروب والأوبئة والمجاعات. ولَعَمري قد يغفر لهم هذا وسواه من مآثرهم في نشر العلم ومحو الأمية ما ضخّمه بعض المؤرخين والتراث الشعبي من سلبياتهم[23].

تقدم النصوص التاريخية المملوكية عن عدد غير قليل من العلوم التي نبغ فيها مجموعة كبيرة من علماء العصر المملوكي من ذوي الهِمم الذي سيأتي البحث على ذكرهم فيما بعد. وقد تميز النظام التعليمي في عصر المماليك بالتخصص حيث انفردت كل مؤسسة بعلم معين فالبيمارستان المنصوري على سبيل المثال اختص بتدريس علم الطب. وترتب

على ذلك أن الطالب الذي يريد أن يتبحر في علم بذاته يتجه على المدرسة التي تهيئ مثل هذا التخصص[24].

رابعاً- مكانة المرأة من ذوي الهِمم التعليمة:

حظيت المرأة في العصر المملوكي بمكانة كبيرة في مجالس العلم إذ نالت نصيبا وافرا من التوجيه التربوي والتعليمي. كذلك عني القائمون على نظام التعليم في تلك الحقبة بمسألة أخلاق وسلوك المعلم بحيث يكون المعلم مثالا يحتذي به من طلبته. ولا بد من القول أن علماء العصر المملوكي اظهروا كفاءة واضحة في الشئون القضائية والإدارية والقانونية والتعليمية، وكذلك في المجالات المالية والتجارية والديوانية[25].

المبحث الثالث- دور الدولة والمجتمع في رعاية ذوي الهِمم:

أولاً-نماذج مشرفة لذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني:

كان كثيرٌ مِن الفقهاء والعلماء، منهم. إمامُ قُرَّاءِ القرآن الكريم،. كل واحد من ذوي الهِمم قد فاق أهل عصره وبرز عليهم في الفقه والعلم والأخبار وأيام الناس وفي سائر العلوم[26].

يزخر التاريخ الإسلامي بذكر مآثر العديد من الصحابة الأجلاء، الذين رفعوا راية الإسلام عالياً، ونقلوها إلى أصقاع الأرض، على الرغم من أنهم كانوا أصحاب عاهات جسدية، إلا إنها لم تكن يوماً ما عائقاً يحول بينهم وبين القيام بدورهم الجهادي والإنساني العظيم ومن هؤلاء:

1. قتادة بن دعامة السدوسي، كان ثقة مأموناً حجة في التفسير والحديث، كان إذا سمع الحديث يختطفه اختطافاً، وكان يكره تكرار الحديث في المجلس إذ يقول: "تكرار الحديث في المجلس يذهب نوره، وما قلت لأحد أعد عليّ"[27].
2. عطاء بن أبي رباح من أوعية العلم، كان عالماً كثير الحديث، وقد وصف دقته في تتبع الحديث النبوي بنفسه واحترامه لحملة العلم من الآخرين بقوله: (إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد)[28]، قال أبو حنيفة: ما رأيت أفضل من عطاء، وقال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنةً، قال ابن معين: كان معلم كتاب دهراً، قال ابن سعد: كان أعور، وقال غيره: كان أسود مفلفل الشعر أعور أشل وعمي آخراً[29].

3. مسروق بن الأجدع الهمداني، من تابعي الكوفة الذين روى عنهم الفتيا، فقد كان عالماً بالفتوى وعرف بكثرة عبادته، وكان علي بن أبي طالب يقول: "يا أهل الكوفة لن تعجزوا أن تكونوا مثل الهمداني، والسلماني، إنما هما شطرا رجل"[30].
4. شريح القاضي، كان من أئمة علماء الكوفة، قال ابن سيرين: قدمت الكوفة وبها أربعة آلاف يطلبون الحديث، وشيوخ أهل الكوفة أربعة: عبيدة السلماني، والحارث الأعور، وعلقمة بن قيس، وشريح القاضي، وكان أحسنهم [31].

وقد اقتصر عمل المكفوفين في مهن محدودة جدًا لا تتجاوز التدريس أو قراءة القرآن، فقد كان أغلب قارئو القرآن على المقابر وفي الكتاتيب من مكفوفي البصر، وبعضهم كان يشتغل لدراسة علم من العلوم الدينية كعلم الأصول. وكانت الإصابة بالعمى تغير من مسلك صاحبها الاجتماعي والمهني فتمنعه من توارث مهنة آبائه وأجداده وخاصة إذا كانت حرفة يدوية، فتجعله تلك ذوي الهِمم يتحول إلى دراسة علوم نظرية في الغالب فرع من علوم الدين كالفقه مثلاً فيتعلمه ويعلمه ويشتهر فيه[32]. ومنهم من يستسلم لتلك ذوي الهِمم فلا يقوم بأي عمل أو يتوقف بعد الإصابة بها عن ممارسة عمله الحرفي الذي كان يقوم به وهو مبصر ويلزم بيته ولا يبرحه أبداً. لكننا نجد بعض الآباء لا يعدمون الوسيلة ولا يفقدون الأمل بعد صدمتهم بإصابة أحد أبنائهم بالعمى إن ولدوا به أو أصيبوا به صغاراً فيبتدعون وسيلة تعد إرهاصاً لما يعرف الآن بطريقة برايل، فلم يتوان أحد العلماء عن تعليم ابنه الكفيف الأكمه الحروف الأبجدية من قير (صلصال معالج) ويجعله يتعلمها ويعرفها باللمس حرفاً حرفاً ثم كلمة مشتبكة مع بعضها، فصار كثيرون يتعلمون ويقرأون باللمس، ومنهم أبو القاسم بن ثعلبة الإشبيلي[33].

وقد طالت الإصابة بفقد إحدى العينين بعض الأمراء مثلما فقد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (138 . 172هـ) إحدى عينيه في رحلة هربه من العباسيين من الشرق إلى الأندلس فوصل إليها أعوراً، وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (172 . 180هـ) أحولاً وأثناء ولايته على مدينة ماردة في حياة أبيه قال أحدهم فيه شعراً وصله بطريق الدسيسة يذكر عنه هذا العيب فأمر هشام بمجيء الشاعر وقطع لسانه وسمل

عينيه وحين علم الأمير عبد الرحمن بذلك غضب غضباً شديداً وكتب إليه يعنفه على ذلك. وكان لأبي العباس السبتي دور بارز في الدعوة إلى إعانة الفقراء والتصدق عليهم وخاصة المكفوفين، وقد ظل ضريحه مأوى للمكفوفين من كل أنحاء المغرب، وتجري به صدقة توزع عليهم.

5. أبو بكر الضرير النحوي:

من أهل النهروان، حكى عن أبي عمر الزاهد اللغوي. وروى عنه محمد بن بكران والله تعالى أعلم. وأحمد بن صدقة الماهنوسي الضرير، كان مقيماً بقوسان، وماهنوس من نواحي واسط. كان أديباً فاضلاً شاعراً ظريفاً، وكان طبقة في لعب الشطرنج مع كونه محجوب البصر [34].

6. أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن أحمد بن نعمة بن محمد بن إبراهيم بن احمد ابن بكير: المعمر العالم، مسند الوقت زين الدين أبو العباس المقدسي الفندقي الحنبلي الناسخ. ولد بفندق السوخ من جبل نابلس سنة خمس وسبعين وخمسمائة. وتوفي رحمه الله لتسع خلون من شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وستمائة. وأدرك الإجازة من السلفي التي أجازها لمن أدرك حياته، وأدرك الإجازة الخاصة من خطيب الموصل أبي الفضل الطوسي وأبي الفتح ابن شاتيل، ونصر الله القزاز، وخلق سواهم. وسمع من يحيى الثقفي، وأبي الحسين الموازيني، ومحمد بن علي بن صدقة، وإسماعيل الجنذوي، والمكرم بن هبة الله الصوفي، وبركات الخشوعي، وابن طبرزد، والحافظ عبد الغني. ورحل إلى بغداد، وسمع ابن كليب بقراءته من عبد الخالق بن البندار، وابن سكينة، وعلي بن يعيش الأنباري، وغيرهم، وتفقه على الشيخ الموفق. وكتب بخطه المليح السريع ما لا يوصف لنفسه وبالأجرة؟ حتى كان يكتب إذا تفرغ في اليوم تسع كراريس أو أكثر. ويكتب الكراسين والثلاثة مع اشتغاله في يوم وليلة. وقيل إنه: كان يكتب القدوري في ليلة واحدة، وعندي؟ أن هذا مستحيل. وقيل إنه كان ينظر في الصفحة الواحدة نظرة واحدة ويكتبها؟ ولذلك يوجد له الغلط فيما كتبه كثيراً، ولازم النسخ خمسين سنة. وخطه لا نقط ولا ضبط [35].

7. أحمد بن عبد السلام:

وهو بن تميم بن عكبر. الشيخ الإمام العالم العامل الخير الناسك الورع التقي المعمر، نصير الدين أبو العباس البغدادي الحنبلي، أحد المعيدين لطائفة مذهبه بالمدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد. ولد ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة. وذلك قبيل وفاة الإمام المستنصر بالله. وتوفي رحمه الله في غرة جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة. ودفن بتربتهم بالجانب الغربي في تربة معروف الكرخي رحمة الله تعالى عليه. كان فاضلاً في الفقه والعربية وله مشاركة في العلوم. وسمع الكثير. ومن أشياخه الإمام مجد الدين أبو أحمد عبد الصمد بن أبي الجيش المقري، وابن أبي الدينة، وابن الدباب، وابن الزجاج، وابن أبي زنبقة، ومجد الدين بن بلدحي، وخلق، وإجازاته عالية، وله نظم ونثر. وبنته معروف بلا فضل. أقعد قبل وفاته بسنين، واضر. والناس يترددون إليه، ويشتغلون عليه، وينتفعون به، ويسمعون منه ويستجيزونه. ولم يزل حريصاً على العلم والعبادة والأشغال والاشتغال إلى حين وفاته. ومن شعر نصير الدين[36].

8. أحمد بن عبد الله:

وهو بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم بن النعمان ويقال له ساطع الجمال بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن سريح بن خزيمة بن تيم الله بن أسد ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة. المعري التنوخي، أبو العلاء من أهل معرة النعمان المشهور صاحب التصانيف المشهورة. كان آية في الذكاء المفرط، عجباً في الحافظة. قال أبو سعد السمعاني في كتاب النسب: ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي، أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرا عليه شيئاً من تصانيفه[37].

9. المعري:

أبو العلاء أحمد بن عبد الله "المعري" (363–449هـ = 973–1057م) من أهل محلة النعمان من بلاد الشام، كان غزير الفضل شائع الذكر وافر العلم غاية الفهم عالماً باللغة حاذقاً بالنحو جيد بالشعر جزل الكلام شهرته تغني عن صفته وفضله

ينطق بسجيته، اعتل بالجدري التي ذهب فيها بصره وهو ابن ثلاث سنوات، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ومات في بيته سنة تسع وأربعين وأربعمائة ببلاد الشام. كان المعري من بيت علم وفضل ورياسة، له جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء. مثل سليمان بن أحمد بن سليمان جده، قاضي المعرة وولي القضاء بحمص، ووالده عبد الله ابن سليمان كان شاعراً، وأخيه محمد بن عبد الله وهو أسن من أبي العلاء وله شعر، وأبي الهيثم أخي أبي العلاء وله شعر، وجاء من بعده جماعة من أهل بيته ولوا القضاء وقالوا الشعر ورأسوا ساقهم الصاحب كمال الدين بن العديم على الترتيب وذكر أشعارهم وأخبارهم في مصنفه دفع التجري. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة [38].

10. أحمد بن عبد الله المهاباذي:

الضرير. من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني. كان نحو يأوله شرح اللمع. أحمد بن عبد الله: بن أبي هريرة أبو العباس القيسي التطيلي الإشبيلي الضرير المعروف بالأعمى. توفي سنة خمس وعشرين وخمسمئة[39].

11. أحمد بن عطية:

هو بن علي أبو عبد الله الضرير، الشاعر. كانت له معرفة بالنحو واللغة تامة. مدح الأمام القائم، وابن ابنه الإمام المقتدى، وابنه الإمام المستظهر، ووزراءهم. وكان خصيصاً بسيف الدولة صدقة بن مزيد، وأحد ندمائه وجلسائه. وله فيه مدائح كثيرة. روى عنه أبو البركات بن السقطي، ومحمد بن عبد الباقي بن بشر المقرئ، شيئاً من شعره[40].

12. أحمد بن مسعود:

وهو بن احمد بن ممدود بن برسق. الأديب الفاضل شهاب الدين أبو العباس الضرير السنهوري، بالسين المهملة والنون الساكنة والهاء المضمومة والواو الساكنة وبعدها راء. المعروف بالمادح: لأنه كان يكثر من مدائح النبي صلى الله عليه وسلم. اجتمعت به غير مرة بالقاهرة عند الصاحب أمين الدين، في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وسمعت منه كثيراً من أمداحه النبوية. وكان حفظة. وله قدرة على النظم،

ينظم القصيدة، وفي كل بيت حروف المعجم، وفي كل بيت طاء، وفي كل بيت ضاد، وهكذا من هذا اللزوم. وأخبرت عنه أنه كان أولاً كثير الأهاجي للناس، ثم إنه رفض ذلك ورجع إلى مدائح النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يكن ناضج العلم. وكان موجوداً في سنة ست وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية[41].

13. أحمد بن يوسف:

وهو بن حسن بن رافع. الإمام العلامة الزاهد الكبير، موفق الدين أبو العباس الموصلي الكواشي. ولد بكواشة وهي قلعة من عمل الموصل، سنة تسعين أو إحدى وتسعين وخمسمائة. وتوف رحمه الله تعالى سنة ثمانين وستمائة. قرا القرآن على والده، واشتغل وبرع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل. سمع من أبي الحسين بن روزبة. وقدم الشام وأخذ عن السخاوي وغيره. وحج وزار القدس وعاد إلى بلده وتعبد. وكان عديم المثل: زهد وصلاحاً وصدقاً وتبتلاً. وكان السلطان ومن دونه يزوره ولا يعبأ بهم، ولا يقوم لهم، ولا يقبل منهم شيئاً. وله كشف وكرامات. وأضر قبل موته نحو عشرين سنة. صنف التفسير الكبير والصغير وأرسل نسخة إلى مكة، وإلى المدينة نسخة، وإلى القدس نسخة. ولأهل الموصل فيه اعتقاد عظيم. وكان كثير الإنكار على بدر الدين صاحب الموصل وإذا شفع عنده، لا يرده[42].

14. يوسف بن سليمان:

بن عيسى أبو الحجاج الأندلسي الشنتمري بالشين المعجمة والنون وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء، الأعلم النحوي. كان واسع الحفظ جيد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته. أخذ عن أبي القاسم إبراهيم الإقليلي، وأبي سهل الحراني، ومسلم بن أحمد الأديب. وأخذ عنه أبو علي الغساني، وطائفة كبيرة. وكف بصره في آخر عمره. وكان مشقوق الشفة العليا شقاً كبيراً. توفي رحمه الله تعالى بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة. وكانت ولادته سنة عشر وأربعمائة. وشرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي. وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد. وساعد شيخه الإفليلي على شرح ديوان أبي الطيب. وقيل شرح الحماسة شرحاً مطولاً. ورتب الحماسة كل باب منها على حروف المعجم(43).

ثانياً– دور الدولة: التشريعات والسياسات والمؤسسات:

شهد العصر المملوكي الثاني (1349–1517 م) ازدهارًا اقتصاديًا وثقافيًا هائلاً في مصر والشام. وبينما تميزت هذه الحقبة بتقدمٍ ملحوظٍ في مجالاتٍ شتّى، إلا أنّه لا ينبغي إغفال التحديات التي واجهها ذوو الاحتياجات الخاصة خلال تلك الفترة. ولكن على الرغم من هذه التحديات، حرصت كل من الدولة والمجتمع على تقديم الدعم والرعاية لذوي الهِمم، وذلك من خلال:

دور الدولة:

التشريعات والسياسات: لم تصدر الدولة المملوكية تشريعات محددة تُعنى بشكل مباشر بذوي الهِمم، ولكن تضمّنت بعض القوانين أحكامًا تُعزّز حقوقهم وتحميهم من الاستغلال.

المؤسسات: أنشأت الدولة بعض المؤسسات التي تقدّم خدماتٍ لذوي الهِمم، مثل:

المارستانات: وهي مستشفياتٌ قدّمت الرعاية الطبية والعلاجية لجميع المرضى، بمن فيهم ذوو الاحتياجات الخاصة.

البيمارستانات: وهي دورٌ للرعاية الاجتماعية، وفّرت المأوى والطعام للمحتاجين، وكان بعضها مخصصًا لذوي الهِمم.

المدارس: وفّرت بعض المدارس تعليمًا دينيًا لذوي الهِمم، ولكن لم يكن هناك نظام تعليمي شاملٌ مُخصّصٌ لهم[44].

ثالثاً– دور المجتمع: المؤسسات الخيرية والتبرعات والعمل التطوعي.

يتمثل دور المجتمع من خلال: المؤسسات الخيرية التي أدت دورًا مهمًا في رعاية ذوي الهِمم، حيث قدّمت لهم المساعدات المالية والعينية، وبنت بعضها أوقافًا لتمويل مشاريع تخدمهم، وكان التبرع من سمات المجتمع المملوكي، وتبرّع الكثير من الأفراد بِأموالهم وأملاكهم لمساعدة ذوي الهِمم، كما تطوّع العديد من أفراد المجتمع لرعاية ذوي الهِمم، وذلك من خلال تقديم المساعدة في المهام اليومية أو تعليمهم مهاراتٍ جديدة، وعلى الرغم من عدم وجود نظامٍ شاملٍ لرعاية ذوي الهِمم خلال العصر المملوكي الثاني، إلا أنّ جهود الدولة والمجتمع ساهمت في تخفيف معاناتهم وتحسين حياتهم. وتُعدّ هذه الحقبة مثالًا

على أنّ التضامن والتعاون بين مختلف أفراد المجتمع، ويمكن أن يُحقّق التغيير الإيجابي ويُساهم في بناء مجتمعٍ عادلٍ وشاملٍ[45].

رابعاً- مقارنة أوضاع ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني بأوضاعهم في فترات تاريخية أخرى:

تختلف أوضاع ذوي الهِمم عبر التاريخ، وذلك تبعًا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لكل فترة، ويهدف هذا البحث إلى مقارنة أوضاع ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني (1349-1517 م) بأوضاعهم في كل من العصر العباسي (750-1258 م) والعصر العثماني (1299-1922 م).

ولا بد من إجراء مقارنة شاملة لأوضاع ذوي الهِمم في العهد المملوكي الثاني والعصر العباسي والعصر العثماني:

تُعدّ ظاهرة ذوي الهِمم ظاهرةً إنسانيةٌ قديمةٌ رافقت البشريةَ عبر التاريخ. وقد واجه ذوو الاحتياجات الخاصةُ في كلّ حقبةٍ تحدياتٍ خاصةً بهم، وتأثّرتْ أوضاعُهم بِالعواملِ الاجتماعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ السائدةِ في تلك الحقبة. ولذلك، يُصبحُ من الضروريّ مقارنةُ أوضاعِ ذوي الهِمم في العهدِ المملوكيِ الثاني (1349-1517م)

بِأوضاعِهم في كلٍّ من العصرِ العباسيِ (750-1258 م) والعصرِ العثمانيِ (1299-1922م)

لفهمِ التطوراتِ التي طرأتْ على حياتهم عبر التاريخ[46].

العصر العباسي (750-1258 م):

الازدهار الحضاري: شهدَ العصرُ العباسيُ ازدهارًا حضاريًا وثقافيًا هائلاً، وذلك أدى إلى اهتمامٍ متزايدٍ بِرعايةِ ذوي الهِمم. فقد أنشأتْ الدولةُ العباسيةُ بعضَ المؤسساتِ لرعايتهم، مثلَ البيمارستاناتِ ودورِ العجزةِ. كما ساهمَ التسامحُ الدينيُ في تلك الفترةِ في قبولِ ذوي الهِمم في المجتمعِ.

محدودية التشريعات: على الرغمِ من اهتمامِ الدولةِ العباسيةِ بِرعايةِ ذوي الهِمم، إلا أنّها لم تُصدرْ تشريعاتٍ محددةً لِضمانِ حقوقِهم ولحمايتهم من التمييزِ. وذلك أدى إلى تعرضِهم لِبعضِ الانتهاكاتِ في بعضِ الأحيانِ.

المشاركة المحدودة: لم تُوفّرْ الدولةُ العباسيةُ فرصًا متساويةً لِذوي الهِمم للمشاركةِ في الحياةِ العامةِ.

فقد واجهوا صعوبةً في الحصولِ على التعليمِ والعملِ، ولم يُشاركوا بشكلٍ فعّالٍ في الحياةِ السياسيةِ[47].

العهد المملوكي الثاني (1349–1517 م):

التقدم الاقتصادي: شهدَ العهدُ المملوكيُ الثاني تقدّمًا اقتصاديًا هائلاً، وذلك أدى إلى تحسينِ أوضاعِ ذوي الهِمم. فقد وفّرتْ الدولةُ بعضَ الخدماتِ الاجتماعيةِ لهم، مثلَ الرعايةِ الطبيةِ والتعليمِ. كما سمحَ لهم المجتمعُ بالعملِ في مهنٍ مختلفةٍ.

استمرار غياب التشريعات: على غرارِ العصرِ العباسيِ، لم تُصدرْ الدولةُ المملوكيةُ تشريعاتٍ محددةً لِرعايةِ ذوي الهِمم. وذلك أدى إلى استمرارِ تعرضِهم لِبعضِ الانتهاكاتِ في بعضِ الأحيانِ.

المشاركة الجزئية: وفّرتْ بعضُ الفرصِ لِمشاركةِ ذوي الهِمم في الحياةِ العامةِ، خاصّةً في المجالاتِ الاقتصاديةِ. فقد عملَ بعضُهم في التجارةِ والصناعةِ، كما شغلَ بعضُ المماليكِ مناصبَ إداريةً وعسكريةً. ولكنْ ظلتْ مشاركتهم في الحياةِ السياسيةِ محدودةً.

العصر العثماني (1299–1922 م):

اهتمام متزايد: شهدَ العصرُ العثمانيُ اهتمامًا متزايدًا بِرعايةِ ذوي الهِمم. فقد أنشأتْ الدولةُ بعضَ المؤسساتِ لرعايتهم، مثلَ دورِ العجزةِ والمدارسِ الخاصةِ. كما صدرت مثلَ دورِ العجزةِ والمدارسِ الخاصةِ. كما صدرتْ بعضُ القوانينِ التي تحمي حقوقَهم. استمرار التحديات: على الرغمِ من التقدّمِ الذي حدثَ في العصرِ العثماني، إلا أنّهُ لا يزالُ ذوو الاحتياجات الخاصةِ يواجهونَ بعضَ التحدياتِ. فلم تُوفّرْ الدولةُ العثمانيةُ فرصًا متساويةً لِمشاركتهم في الحياةِ العامةِ.

كما واجهوا صعوبةً في الحصولِ على التعليمِ والعملِ، وظلّتْ مشاركتهم في الحياةِ السياسيةِ محدودةً.

الخاتمة:

أدى ذوو الاحتياجات الخاصة دورًا مهمًا في المجتمع المملوكي الثاني، على الرغم من التحديات التي واجهوها. فقد ساهموا في الحياة الاقتصادية من خلال العمل في مختلف المهن،

كما شاركوا في الحياة الثقافية من خلال الفنون والآداب، ولعبوا دورًا في الحياة الاجتماعية من خلال التعاون والتضامن مع أفراد المجتمع.

إن الحضارة الإسلامية ولاسيما في الفترة المملوكية هي أكثر الحضارات اهتماماً بحقوق ذوي الهِمم، ورأينا كيف كان يتعامل معهم رسول الله ﷺ، وقد سار الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم على منهج الرسول في تعاملهم مع ذوي الهِمم، وقرر الفقهاء والخلفاء حقوقاً لذوي الهِمم لم تكن موجودة من قبل في الأمم السابقة تلك الحقوق التي أقرها الإسلام قرآناً وسنة، والتي يمكن

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة.
2. ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
3. ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط/2، تحقيق: محمود مكي دار النشر: دار الغرب الإسلامي، مدينة بيروت 1990م.
4. ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار النشر: دار الكتاب المصري اللبناني 1989م.
5. ابن حزم الأندلسي: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر: دار مكتبة الحياة، مدينة بيروت 1959م.
6. ابن كثير الدمشقي، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، اليمن، 2011م.

7. ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، مكتب الطالب الجامعي،ط3، مكة المكرمة، 1988م.
8. ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي.
9. أبو إسحاق الشيرازي: طبقات الفقهاء، تهذيب ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر: دار الرائد العربي، مدينة بيروت، 1970م.
10. أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة بيروت، 2001م.
11. أبى الفداء الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر طبعة جديدة منقحة دار النشر: دار الفكر، مدينة بيروت.
12. جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، حققه: أبو قتيبة الفارابي، دار النشر: دار طيبة.
13. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة بيروت 2004م.
14. السيد عبد العزيز سالم، التأريخ والمؤرخون العرب، دار النشر: دار النهضة العربية، د.ط، مدينة بيروت، 1981م.
15. شاكر مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون، دار النشر: دار العلم للملايين، مدينة بيروت, ط1،ج1، 1978م.
16. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: 764هـ)، نكت الهيمان في نكت العميان علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ج1.
17. عبد الله بن محمد سليمان الوابلي، ود. طارق بن مسلم سليمان الشمري: ذوي الهِمم في المملكة العربية السعودية أسبابها وأساليب الوقاية منها. المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج ذوي الهِمم، 2002م.

18. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية، دار النشر: مكتبة المثنى، مدينة بيروت، د.ت.
19. محمد العدناني: معجم الأخطاء الشائعة، ط/ 2، مكتبة لبنان، 1997م.
20. محمد بن يعقوب الفيروز آبادى: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، ط/8، مؤسسة الرسالة، مدينة بيروت – لبنان 1426 هـ - 2005 م.
21. محمد علي قطب، مختصر سيرة ابن كثير (السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير 773 هـ)، دار النشر: دار المسيرة، ط1، مدينة بيروت، 1982م.
22. المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار النشر: دار الثقافة، مدينة بيروت.
23. المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار النشر: دار الثقافة، مدينة بيروت.
24. مسعود الرحمن خان الندوي، ابن كثير كمؤرخ، دار النشر: مركز الدراسات الآسيوية العربية، ط1، الهند، 1980م.
25. المنذري: الترهيب والترغيب للمنذري، دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة بيروت ط1، 1417هـ.
26. الموسوعة الطبية الحديثة لمجموعة من الأطباء، ط/2، 1970م.
27. الواقدي، فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، مدينة القاهرة 1971م.

الهوامش:

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، (2/ 325).

(2) جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ط/3، دار النشر: دار صادر، مدينة بيروت، 1414هـ، (10/ 149، 1520) مادة (ذو).

(3) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 18.

(4) د. عبد الله بن محمد سليمان الوابلي، ود. طارق بن مسلم سليمان الشمري: الإعاقة في المملكة العربية السعودية أسبابها وأساليب الوقاية منها. المكتبة الإلكترونية أطفال الخليج ذوي الهِمم، 2002م، ص10 – 11.

(5) . إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، (2/ 637).

(6) . أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، مدينة بيروت، 2001م، (3/ 18).

(7) ابن كثير الدمشقي، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، دار النشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، اليمن، 2011م، ص182.

(8)ابن كثير، لأبى الفداء الحافظ، البداية والنهاية المتوفى سنة ٧٧٤ هـ الجزء الرابع عشر طبعة جديدة منقحة، دار النشر: دار الفكر، مدينة بيروت، ص26.

(9)ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، دار النشر: مكتب الطالب الجامعي،ط3، مكة المكرمة، 1988م، ص221.

(10) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، مدينة بيروت، 2000م، ص117.

(11)ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر طبعة جديدة منقحة، دار النشر: دار الفكر، مدينة بيروت، ص28.

(12) الدمشقي، التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، دار النشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، اليمن، 2011م، ص182.

(13)السيد عبد العزيز سالم، التأريخ والمؤرخون العرب، دار النشر: دار النهضة العربية، د .ط، مدينة بيروت، 1981م، ص11.

(14) د. شاكر مصطفى، التأريخ العربي والمؤرخون، دار النشر: دار العلم للملايين، مدينة بيروت, ط1،ج1، 1978م، ص42.

(15) مسعود الرحمن خان الندوي، ابن كثير كمؤرخ، دار النشر: مركز الدراسات الآسيوية العربية، ط1،الهند، 1980م، ص43.

(16) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر 43/4.

(17)ابن كثير: البداية والنهاية 182/18، 183.

(18) المقريزي، السلوك 340/2، 341.

(19)عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية، دار النشر: مكتبة المثنى، مدينة بيروت، د.ت، ص223.

(20) النويري: نهاية الأرب، 372/31، 373.

(21)ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر طبعة جديدة منقحة، دار النشر: دار الفكر، مدينة بيروت، ص216.

(22) ابن إياس، المصدر السابق، ج1ق1، ص336، 337؛ السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، مدينة بيروت، 2004م)، ج2، ص83.

(23) ابن كثير: البداية والنهاية، 27/18.

(24) النويري: نهاية الأرب 32/32، 33.

(25) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر 6/4.

[26] فضائل مصر . للحسن بن زولاق ص32–ص28، حسن المحاضرة للسيوطي جـ2، ص337.

[27] ابن سعد، الطبقات (171/7).

[28] الذهبي: سير أعلام النبلاء (52/5)، ابن كثير: البداية والنهاية (248/9).

[29] صلاح الدين الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2007م، ص 183.

[30] أبو إسحاق الشيرازي: طبقات الفقهاء، تهذيب ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت 1970م، ص79.

[31] جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، دار طيبة، (937/2).

[32] ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري اللبناني 1989م (2/ 767).

[33] ابن حزم الأندلسي: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت 1959م، ص 192، والمراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت(1/ 365).

[34] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: 764هـ)، نكت الهيمان في نكت العمياذ علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ج1، ص40.

[35] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (المتوفى: 764هـ)، نكت الهيمان في نكت العمياذ علق عليه ووضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار النشر: دار الكتب العلمية، مدينة بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م، ج1، ص32.

[36] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص43.

[37] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص44.

[38] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص45.

[39] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص54.

[40] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص55.

[41] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص56.

[42] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص59.

[43] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص89.

[44] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص80–ص91.

[45] النويري: نهاية الأرب 372/31، 373.

[46] السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، مدينة بيروت، 2004م)، ج2، ص83؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج1ق1، ص336، 337.

[47] الصفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ج1، ص91.